لمحات من التاريخ القديم

يوجد بدولة الإمارات العربية المتحدة أكثر من ٣٣٠ مبنى وموقعاً أثرياً وتراثياً، يعود الكثير منها إلى العصور الحجرية.

ظهرت أول مستوطنة بشرية مؤرخة في المنطقة خلال الفترة من ٨٠٠٠ ق.م- ٣٠٠٠ق.م بعد انهيار العصر الجليدي الأخير.

لَمحات من التاريخ القديم

تمتلك دولة الإمارات العربية المتحدة إرثاً غنياً ومتنوعاً يتضمن تاريخاً ضارباً في القدم من المستوطنات البشرية وتنوعاً في البيئات الطبيعية والحياة البرية الحيوانية والنباتية، هذا بالإضافة إلى تراث وتقليد بشري حيوي من الموسيقى والأدب، والشعر، والصناعات اليدوية والتقليدية الفريدة. وعلى الرغم من الأولويات الاقتصادية وعمليات التنقيب عن النفط والماء، إلا انه كانت هناك أيضا اهتمامات اجتماعية وفكرية قوية فيما يتعلق بالآثار والحياة البرية.

ويوجد بدولة الإمارات أكثر من ٣٣٠ مبنى وموقعاً أثرياً وتراثياً، تعود الكثير منها للعصور الحجرية، خاصة المستوطنات والمدافن في المنطقة الساحلية قرب أبوظبي ورأس الخيمة ومضيق هرمز، حيث أشارت المكتشفات الأثرية فيها إلى وجود حياة حضرية مستقرة تأثرت بالحضارات المجاورة مثل حضارة وادي الرافدين والسند وبلاد اليمن.

واضطلعت بمهام التنقيبات عن الآثار في الدولة، العشرات من الفرق الوطنية والبعثات الأثرية العربية والأجنبية، من بينها بعثات من العراق وبريطانيا وألمانيا وفرنسا واليابان وإسبانيا واستراليا وبلجيكا والدانمرك والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها.

ونفّذت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، خلال النصف الأول من العام ٢٠٠٧ نحو ٢٧ عملية مسح أثري مبدئي، غطت الكثير من مناطق أبوظبي الجغرافية الممتدة من السلع في المنطقة الغربية إلى مناطق الطويلة والشويب في المنطقة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من إمارة أبوظبي، ونتج عنها تحقيق جملة من الأهداف والأنشطة الاستراتيجية منها اكتشاف مواقع جديدة خلال مدة وجيزة، من بينها موقع المتحجرات القديمة في الرويس بالمنطقة الغربية الذي يعود إلى فترة العصر الميوسيني المتأخرة ٦-٨ ملايين سنة وكذلك موقع العصر الحجري الحديث في السلع والذي لم يكن معروفا من قبل والذي يرجع تاريخه إلى ٧٠٠٠ سنة.

نفّذت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، خلال العام ٢٠٠٧ نحو ٢٧ عملية مسح أثري جديد.

كما تم العثور على ثلاثة رؤوس سهام ذات صناعة متقنة وجدت في موقع أحد الصيادين الكائن على أحد الجبال المطلة على سبخة مطي، مما يشير إلى أن المستوطنين الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث اختاروا الجبل كموقع استراتيجي ونقطة مشاهدة رائعة قبل حوالي ٧٠٠٠ سنة علماً بان المناخ في تلك الحقبة كان أفضل بكثير مما هو عليه اليوم حيث كانت الأمطار

تهطل بغزارة مما يعني توافر الحياة النباتية الغنية وربما كانت توجد في سبخة مطي وقتها مياه عذبة كانت تتدفق موسميا في الخليج العربي.

كما تواصلت عمليات التنقيب عن الآثار في إمارة الشارقة التي وقّعت اتفاقيتين جديدتين مع اليابان والولايات المتحدة الأمريكية للتنقيب في منطقة دبا الحصن وموقع مويلح الأثري، فيما استكملت البعثة الفرنسية للآثار عمليات التنقيب في المستوطنة الأثرية بجزيرة الألعاب بإمارة أم القيوين للموسم الرابع على التوالي، والتي يعود تاريخها إلى العصر الحجري قبل ٥ آلاف سنة.

وكانت فرق من المسح الأثري لجزر أبوظبي (أدياس) قد توصلت إلى اكتشافات أثرية مهمة خلال العام ٢٠٠٣ من بينها اكتشاف ثلاثة مواقع بها آثار أقدام لأفيال وحيوانات أخرى قديمة في المنطقة الغربية يعتقد أنها تعود لحوالي ٦ إلى ٨ ملايين عام في منطقة بينونة شرقي غياثي، والعثور في منطقة الرويس بالمنطقة الغربية على أضخم سنّ فيل أحفورية يتم اكتشافها على الإطلاق في منطقة الشرق الأوسط ويبلغ طولها ٢٫٥٤ متر، ويعتقد أنها تعود إلى العصر الميوسيني المتأخر أي إلى حوالي ٦ إلى ٨ ملايين عام، حينما كانت المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي منطقة سهول سافانا غنية بالأشجار والأنهار البطيئة الحركة تماماً. كما أعلنت فرق المسح الأثري لجزر أبوظبي في بداية شهر يناير ٢٠٠٤ العثور على مجموعة من المنازل الصخرية القديمة، التي يعود تاريخها إلى حوالي سبعة آلاف عام في جزيرة مروح في المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، ويعدّ الاكتشاف الأقدم من نوعه على الإطلاق في دولة الإمارات.

كما أكدت نتائج الحفريات التي أجريت في جزيرة دلما، في الأعوام ١٩٩٣ و١٩٩٤ و١٩٩٨ أهمية جزر أبوظبي خلال العصر الحجري المتأخر، حيث تم العثور على آثار مبانٍ دائرية مشيدة على أعمدة خشبية، وأظهر تحليل الفخاريات بالأشعة الكربونية من هذه المباني ومواقع أخرى، وجود استيطان بشري على الجزر قبالة الساحل، يعود تاريخه إلى حوالي سبعة آلاف عام، إذ كان السكان آنذاك يعملون في التجارة عبر السفن مع بلاد الرافدين (العراق الآن) وكانت تلك هي بداية تقاليد التجارة البحرية الإماراتية الراسخة.

كما كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت بجزيرة بلغيلم شمال شرقي أبوظبي، عن أن الجزيرة كانت مستوطنة قبل أكثر من أربعة آلاف عام، فيما أثبتت حفريات أخرى، وجود أحد أقدم المستوطنات البشرية التي كانت مأهولة قبل حوالي ستة آلاف و٥٠٠ سنة إلى سبعة آلاف و٥٠٠ سنة.

وتساعد هذه الاكتشافات على تحديد تاريخ تطور الشريط الساحلي للجزر

توصّلت فرق من المسح الأثري لجزر أبوظبي (أدياس) إلى اكتشاف ثلاثة مواقع فيها آثار أقدام أفيال وحيوانات أخرى بالمنطقة الغربية، يُعتقد أنها تعود لحوالي ٦ إلى ٨ ملايين عام.

والمناطق الساحلية المجاورة لأبوظبي خلال السنوات الآلاف القليلة الماضية، مما سيضيف بيانات ومعلومات ثمينة لمعرفة نمط حياة المستوطنات البشرية في المنطقة.

السجل الأثري لدولة الإمارات ٣٤ عاماً من الاكتشافات

إن قلة من الناس يمكن أن يتخيلوا، أن دولة الإمارات التي قامت في الثاني من ديسمبر ١٩٧١، تمتلك إرثاً تاريخياً يُعتدّ به، أو أن هذا الكم الهائل من الاكتشافات الأثرية الهامة يمكن أن يتحقق في هذه الفترة الزمنية الوجيزة. فمنذ الأيام الأولى لتوليه مقاليد الحكم كرئيس للدولة الناشئة الفتية، كان اهتمام المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وحماسه لفهم كل ما يتعلق بهذه الأرض الطيبة وشعبها، إيذاناً ببداية الاهتمام والحرص على سبْر أغوار هذا الماضي العريق، وكشف النقاب عن ما طواه الزمن واندثر تحت هذه الأرض. وشهد العقد الماضي تواصل مسيرة البحث الأثري بخطى ثابتة ومتسارعة، مما أسفر عن العديد من الاكتشافات الأثرية الهامة، التي تضمها حاليا المتاحف الأثرية في أنحاء البلاد كافة. واليوم، يمكن لشعب الإمارات أن يشعر بالفخر والاعتزاز بهذه الاكتشافات التي تعبر عن تاريخ وماض أثري عريقين، يزيل كل الأفكار التي تشكك في عدم أهمية هذه المنطقةً من الناحية التاريخية. فإذا كان ما يشاع صحيحاً، فلماذا إذن تكبّد قدماء الاكديين أو الاخمينيون أو الأباطرة الساسانيون مشقة توسيع حملاتهم العسكرية ومحاولة مد نفوذهم إلى هذه المنطقة. إن عدم وجود سجل محلي مكتوب، مقارنة بالسجلات المسمارية الآشورية في بلاد ما بين النهرين، أو الحروف الهيروغليفية الفرعونية، يجب أن لا يعمى أبصارنا عن حقيقة، أن منطقة ما يعرف اليوم بدولة الإمارات كانت في العصور القديمة جزءا من الحضارة المتنوعة والمتعددة العناصر لمنطقة غرب آسيا القديمة، غنيًا بالموارد وهاماً من الناحية الاستراتيجية.

كانت تجارة النحاس الدافع الأساسي وراء الاتصالات التي تمت بين الإمارات وجنوب وادي الرافدين في عصر "جمدت نصر".

تراث الجزيرة العربية
(٥٠٠٠ ق.م - ٣٠٠٠ ق.م)

انهار العصر الجليدي الأخير قبل حوالي ١٠٫٠٠٠ عام ونيف، وكانت الأحوال الرطبة نوعا ما التي أعقبته خلال الفترة من ٨٠٠٠ ق.م -٣٠٠٠ ق.م، توصف في أحيان كثيرة كظروف مناخية مثلى. فخلال هذه الفترة بالتحديد ظهرت أول مستوطنات بشرية مؤرخة في هذه المنطقة. وتم العثور على أدوات حجرية متعددة تعود إلى ما كان يسمى (تراث الجزيرة العربية

المتعدد الأوجه)، في عدد كبير من المواقع في مناطق بيئية واسعة النطاق في جميع أنحاء الإمارات. وتشهد رؤوس السيوف الحادة، والرقائق والصفائح المعدنية، والأنصال والمدى والأدوات الأخرى، على تنوع الأدوات التي كان يستخدمها المستوطنون الأوائل الذين ربما كانوا رعاة يمارسون الصيد أحيانا لتكملة وجباتهم، أكثر مما هم صيادون لا يملكون الكثير من الحيوانات الأليفة المنزلية. وقد تم أيضا اكتشاف أواني فخارية ملونة مستوردة من بلاد وادي الرافدين في عدد من المواقع الساحلية في دولة الإمارات، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وقطر والبحرين وجزر الكويت، كشفت عن وجود اتصالات بين هذه المناطق وشعوب جنوب العراق في العصر الألفي الخامس قبل الميلاد. ولعله من المهم تأكيد حقيقة أن جلب هذه الفخاريات إلى المنطقة لم يؤد مباشرة إلى نشوء صناعة فخار محلية، وهو أمر لم يظهر حتى القرن الألفي الثالث قبل الميلاد. وقد توصلت التنقيبات الأثرية التي أجرتها دائرة الآثار في الشارقة بالتعاون مع بعثة الآثار والإنثروبولوجي الألمانية لعدة سنوات في موقع جبل البحيص، والتي أعلنت نتائجها الأولية في ٢٥ إبريل ٢٠٠١ إلى أن هذا الموقع يعود تاريخه إلى ٧ آلاف سنة قبل الميلاد ويمثّل مستوطَنا في عصر ما قبل التاريخ، وعثر فيه على بقايا المستوطَن التي تتمثل في تركيبات حجرية بسيطة ومواقد نيران كثيرة ومقبرة واسعة تجاوز عدد الهياكل العظمية فيها ٦٠٠ هيكل عظمي، بالإضافة إلى جمجمة بشرية، تبين بعد نتيجة الدراسات التي أجريت عليها أن صاحبها قد أصابه ورم في الدماغ وأجريت له عملية لاستئصال هذا الورم. وأكدت نتائج التنقيبات الأثرية أن هذه الاكتشافات تمثل وجود مقبرة تُعدّ من أقدم المكتشفات في جنوب شرق الجزيرة العربية، وتم استخدامها من قبل أقدم مستوطنين في هذه المنطقة خلال الفترة من ٤٢٠٠ إلى ٥٢٠٠ قبل الميلاد حيث عاش الناس في هذه المرحلة معتمدين على الزراعة وبعض الحيوانات المدجنة، وان هذا الموقع لم يكن المستوطنون يقيمون فيه بشكل دائم بل حسب المواسم، إلا أنه كان مهما جدا والسبب في ذلك أنهم كانوا يدفنون موتاهم فيه.

كشفت نتائج التنقيبات الأثرية في موقع جبل البحيص في الشارقة عن مكتشفات تُعدّ من أقدم الآثار في جنوب شرق الجزيرة العربية.

أواخر العصر الألفي الرابع ومطلع القرن الألفي الثالث قبل الميلاد (٣١٠٠ ق.م-٢٥٠٠ ق.م)

وظهرت لأول مرة مدافن جماعية في شكل مقابر فوق الأرض، مشيدة من حجارة غير مصقولة في موقعين في دولة الإمارات العربية المتحدة هما

جبل حفيت (بما في ذلك مزيد) وجبل املح. وتعتبر هذه المدافن التي سميت على الموقع الذي اكتشفت فيه لأول مرة، غير مسبوقة بأكملها في التسلسل الأثري المحلي. وهي تتضمن فخاريات من نوع عصر جمدت نصر في بلاد وادي الرافدين. وإضافة للفخاريات، عثر أيضا على خرزات مستوردة مربعة عظمية أو عاجية مع ثقبين مائلين. واليوم، لا يزال يتعين اكتشاف المستوطنات السكنية المطمورة في مدافن حفيت التي تعتبر نموذجا لمناطق جنوب شرق شبه الجزيرة العربية (توجد نماذج أيضا إلى الجنوب في عمان). وعلى الرغم من أنه لا يوجد دليل مادي بعد، إلا أنه يفترض عموما بأن تجارة النحاس كانت هي الدافع وراء الاتصالات التي تمت بين الإمارات وجنوب وادي الرافدين في عصر جمدت نصر.

منتصف وأواخر القرن الألفي الثالث قبل الميلاد
(٢٥٠٠ ق.م – ٢٠٠٠ ق.م)

كانت المستوطنات الزراعية في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية تعتمد على زراعة أشجار النخيل. وبدون هذه الأشجار، لا يتوفر الظل اللازم لنموّ المحاصيل الزراعية الأخرى بما في ذلك الحبوب والخضراوات والفاكهة. ولدى ظهور البساتين إلى الوجود والتي تروى من مياه الآبار العذبة الموجودة في العديد من المناطق في دولة الإمارات، تم وضع حجر الأساس لتنمية أنماط الحياة في الواحات والتي كانت تميز مستوطنات الأودية في المنطقة. ولعبت حيوانات الرعي كالأغنام والماعز والماشية دورا هاما في تنمية وتطوير اقتصاد الواحات، إلا أن أيا من الأصناف الأخرى لم تكن بمثل أهمية أشجار النخيل في هذه العملية.

وهكذا، فقد قامت القرى الأولى في دولة الإمارات على أساس زراعي، ولكي يوفروا الحماية لاستثماراتهم في الأرض والماء والموارد الطبيعية، ربما شعر سكان هذه القرى بأنهم مضطرون لبناء تحصينات هائلة. وظهرت هذه المباني لأول مرة في منتصف العصر الألفي الثالث قبل الميلاد وتشبه من الناحية المعمارية مباني ما تسمى بفترة أم النار (٢٥٠٠ ق.م – ٢٠٠٠ ق.م). وقد تم اكتشاف نماذج من قلاع فترة أم النار في موقع الهيلى١، والهيلي ٨، والبدية وتل ابرق وكلباء. وبينما يتراوح قطر معظمها بين ١٦ إلى ٢٥ مترا، فإن قلَعة تل أبرق التي يبلغ قطرها ٤٠ مترا تعتبر الأكبر والتي لم يكشف النقاب عنها بعد.

وبصفة عامة، كان موتى فترة أم النار يدفنون في مدافن دائرية تواجهها كتل من الحجارة المربعة المنحوتة المبنية، على الرغم من وجود غرف

اكتشف في مدفن تل أبرق في إمارة أم القيوين رُفات شابة في العشرين من عمرها كانت مُصابة بشلل الأطفال، وهو ما يعتبر أول حدوث مؤكد على الإطلاق لهذا المرض في السجلات الأثرية في أي مكان آخر في العالم.

مستطيلة ربما تكون من أجل إعادة دفن ثانوية للعظام من المدافن الدائرية التي امتلأت عن بكرة أبيها. واكتشفت نماذج مدافن أم النار الدائرية لأول مرة من قبل بعثة تنقيب دانمركية على جزيرة أم النار في أبوظبي في العام ١٩٥٨. وهكذا منحت الجزيرة اسمها للفترة التي كانت تميزها هذه المدافن. وبحلول العام ١٩٩٥ تم اكتشاف نماذج من مدافن أم النار في المناطق الساحلية والداخلية في أبوظبي (جزيرة أم النار، ومنطقة الهيلى)، ودبي (الصفوح وحتا)، وعجمان (المويهات)، وأم القيوين (تل أبرق)، ورأس الخيمة (شمل ووادي الموينعى). وتظهر النماذج المحفوظة جيدا بآن مئات الأفراد قد دفنوا في هذه المدافن مع سلسلة واسعة من المعدات، بما في ذلك طاسات من الحجر الناعم، وأوان فخارية منزلية من الخزف الأسود/الأحمر من الصناعة المحلية، وأوان فخارية منقوشة باللون الرمادي ومطلية بلون اسود رمادي من جنوب شرق إيران أو بلوشستان، وأسلحة نحاسية/برونزية، ومصنوعات شخصية مثل الأساور والقلائد تحتوى على آلاف الخرزات بعضها من وادي السند، إضافة إلى أدوات رائعة أخرى كالأمشاط العاجية ومصابيح من الجبس وملابس كتانية. وكان أكثر شئ مثير للدهشة في مدفن تل أبرق اكتشاف رفات شابة في العشرين من عمرها كانت مصابة بشلل الأطفال، وهو ما يعتبر أول حدوث مؤكد على الإطلاق لهذا المرض في السجلات الأثرية في أي مكان آخر في العالم.

وأظهرت الحفريات في موقع السماح في رأس الخيمة وجود أرصفة حجرية تتكون من منصات مرتفعة ومقابر تحت الأرض تعود أيضا إلى فترة أم النار، وفقا للمكتشفات التي عثر عليها بداخلها. وتدل هذه المعالم الأثرية التي قورنت بالأعمدة الثلاثية القوائم والأرصفة المرتفعة المنصات في جنوب وغرب شبه الجزيرة العربية، على وجود درجة من التنوع الحضاري في أواخر العصر الألفي الثالث في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، لا يزال يتعين التحقق منه بصورة كافية.

مطلع ومنتصف العصر الألفي الثاني
(٢٠٠٠ ق.م – ١٢٠٠ ق.م)

كان يُعتقد، لعدة سنوات، بحدوث استمرارية رئيسية في التسلسل الآثاري لشبه جزيرة دولة الإمارات العربية المتحدة/عمان في نهاية القرن الألفي الثالث قبل الميلاد. وحقيقة الأمر أن العدد الإجمالي لمستوطنات أوائل العصر الألفي الثاني في دولة الإمارات لم يكن كبيرا، بيد انه ومن خلال تلك المستوطنات التي تمت دراستها، كتل ابرق وأيضا من المؤشرات السطحية

في موقع مثل ند الزبة في رأس الخيمة، يتضح أن بعض المراكز السكانية كانت مأهولة بصورة متواصلة طيلة الوقت، ولم تظهر أية علامات (لتدهور) حضاري. وفي تل ابرق، على سبيل المثال، ظلت القلعة الضخمة التي تعود لعصر أم النار مستخدمة حتى منتصف العصر الألفي الثاني قبل الميلاد مع بعض التعديلات على الحوائط الخارجية وإنشاء مبان جديدة في الداخل. وإضافة لهذه التعديلات الهندسية المعمارية، لوحظ حدوث تغيير رئيسي في غذاء سكان الموقع، حيث أصبح السمك والمحار أكثر أهمية مما كانا عليه في أواخر العصر الألفي الثالث قبل الميلاد، ويشكلان حوالي ٥٠ في المائة من جميع المتطلبات الغذائية. كما لوحظ أيضاً تحول مماثل من استغلال الحيوانات البرية إلى الموارد البحرية في منطقة (شمل) حينما ينتقل المرء من أوائل إلى أواخر العصر الألفي الثاني قبل الميلاد. إن مستويات فترة وادي سوق الأخيرة توازيها المستوطنات المأهولة في منطقة شمل في رأس الخيمة، حيث كانت تقع منطقة سكنية في أسفل جبال الحجر وعلى مرمى البصر من بحيرة أشجار القرم القديمة. وتشتهر منطقة شمل والمواقع القريبة منها مثل غليلة وضاية بمدافنها الجماعية العديدة التي تعود إلى فترة وادي سوق. إضافة لذلك، فان المدافن تحت الأرض الشبيهة بحدوة الحصان في وادى القور في جنوب رأس الخيمة وواحة قدفع في الفجيرة، لابدّ أن تعود أيضا إلى فترة وادي سوق، وكذلك المدافن الشبيهة بحرف ئ كتلك التي اكتشفت في ضاية البثنة. علاوة على ذلك فان المدافن المحفورة في داخل السبخة في منطقة القصيص في دبي تتضمن أيضا العديد من تلك التي تعود إلى فترة وادي سوق.

وكانت فترة وادي سوق جديرة بالملاحظة والاهتمام بسبب ازدهار صناعة الحديد فيها. وعلى الرغم من أن آثار تلك الفترة تعرضت للسرقة والنهب، إلا أن بعض مدافنها كتلك التي تشبه حدوة الحصان في منطقة قدفع استخرجت منها مئات القطع من الأسلحة والأواني. وبينما تميزت فترة أم النار بالخناجر والرماح، شهدت فترة وادي سوق إنتاج السيوف الطويلة والأقواس والسهام، ونوعاً جديداً وخفيفاً من رؤوس الرماح. ويوحي ظهور هذه الأسلحة، إلى جانب المئات من رؤوس السهام البرونزية الحادة الأطراف، بتطور في تقنية الحرب خلال العصر الألفي الثاني قبل الميلاد غير مسبوقة في السجل الأثري المبكر في المنطقة.

ونشأت في أواخر العصر الألفي الثالث قبل الميلاد صناعة الأواني الصخرية الناعمة من طاسات وأكواب وصناديق مقسمة إلى أجزاء مزخرفة بدوائر منقطة، وخلال فترة وادي سوق تزايدت أعداد الأواني الصخرية الناعمة المودعة في المدافن، كما أن الأشكال الجديدة، بالإضافة إلى النقوش

جاب بحّارة الإمارات، بخبراتهم الملاحية التي توارثوها عن أجدادهم، المحيط الهندي، ووصلوا بتجارتهم إلى ممباسا في كينيا والى سريلانكا وفيتنام والصين.

أكدت الاكتشافات الأثرية في منطقة الدور بأم القيوين على أن هذا الموقع كان أكثر المستوطنات الساحلية أهمية في الخليج الأدنى خلال القرون الميلادية الأولى.

والخطوط المائلة والأفقية العنقودية الشكل، أتاحت بسهولة فصل الأواني الصخرية الناعمة الأخيرة عن سابقاتها في العصر الألفي الثالث قبل الميلاد.

وأظهرت الدراسات التي أجريت على أسنان الموتى المدفونين في موقع شمل أن نسبة تسوس الأسنان لم تكن عالية في أوساط سكان المنطقة، الأمر الذي قد يعكس أنهم كانوا يعتمدون في غذائهم على الأسماك والمحار وربما بعض التمور إن وجدت. وقد توفرت بعض المؤشرات على تكدس للثروة خلال فترة وادي سوق، من خلال صنف مثير للاهتمام من البروشات الذهبية والفضية/الذهبية (الالكتروم) في شكل حيوانين يقفان ظهرا لظهر، وذيلاهما ملفوفان بطريقة حلزونية في كثير من الأحيان. وهناك نماذج معروفة منها الآن في ضاية والقطارة والبدية. وربما نجمت بعض هذه الثروة عن تجارة النحاس مع الخارج، وهي سلعةٌ اشتهرت ديلمون (البحرين) ببيعها بالتجزئة إلى سوق مدينة أور التجارية في جنوب شرق بلاد وادي الرافدين في مطلع العصر الألفي الثاني قبل الميلاد.

إن اكتشاف أكثر من ستمائة من كسور الأواني الفخارية المرمرية الحمراء الأضلع، والتي ظهر الآن أنها تطابق فخاريات مستوطنة سعر SAAR في البحرين، يشير إلى وجود اتصالات في ذلك الاتجاه. علاوة على ذلك، كان لدى تل ابرق وشَمل، على حد سواء، فخاريات تعود لما بعد فترة (هاربان) HARPAN في نصوص مطلع العصر الألفي الثاني، الأمر الذي يوفر الدليل على وجود اتصالات مستمرة مع وادي السند في ذلك الوقت.

أواخر العصر الألفي الثاني
إلى أواخر العصر الألفي الأول قبل الميلاد
(١٢٠٠ ق.م – ٣٠٠ ق.م)

حدثت عدة ابتكارات في أواخر العصر الألفي الثاني قبل الميلاد أدت إلى إحداث ثورة في اقتصاديات جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. وغنى عن القول إن ترويض الجمل، الذي شهدته نهاية العصر الألفي الثاني قبل الميلاد في تل ابرق، كان فاتحة لإمكانيات جديدة في مجال النقل البري، بينما أدى اكتشاف نظام الفلج لنقل المياه من الطبقات الصخرية المائية إلى الجنائن عبر قنوات، إلى إمكانية التوسع في ري الجنائن والأراضي الزراعية، مما نجم عنه انفجار حقيقي في الاستيطان عبر شبه جزيرة الإمارات/عمان.

وتقليدياً، كان يشار إلى الفترة من ١٢٠٠ ق.م إلى ٣٠٠ ق.م (كعصر الحديد). بيد أنه ليس هناك تعبير أقل ملاءمة من هذا، حيث أن الحديد لم يستخدم في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية حتى الفترة التالية. وباستثناء

مدفن في السماح في رأس الخيمة يحتوي على مواد من العصر الحديدي الأول، فان جميع الأدلة الخاصة بالعصر الحديدي الأول تأتي من المواقع الساحلية الخليجية في موقعي شَمَل، وتل أبرق، وسلسلة من ركام المحار في موقع الحمرية في الشارقة. وقد تواصلت أهمية السمك والمحار في طعام سكان العصر الحديدي الأول، على الرغم أنهم كانوا يُربّون الضأن والماعز والماشية الأليفة، كما أنهم استغلوا أيضا الغزلان، والمها العربية، والأطوم والسلاحف وطيور الغاق. إلى جانب ذلك كانوا يقومون بزراعة القمح والشوفان، وظلت أشجار النخيل هامة كالعادة.

وكان العصر الحديدي الثاني هو العصر (الكلاسيكي) الحديدي في دولة الإمارات، وتشهد على ذلك الحفريات التي كشفت عن عدة مبان من الآجر الطيني في عدد من المواقع كالرميلة، وبنت سعود، والهيلي ٢، والهيلي ١٤، والهيلي ١٧ في منطقة العين، وأيضا في الثقيبة وأم سفح في سهل المدام، ومويلحة في المناطق الصحراوية الرملية بالقرب من مطار الشارقة الدولي. كما تم تحديد العديد من المدافن والمستوطنات في مواقع أخرى، وتشير التقديرات إلى انه تم توثيق حوالي ١٥٠ موقعا على الأقل عن هذه الفترة في دولة الإمارات وسلطنة عمان المجاورة. ويعزى الانفجار في المستوطنات في هذه الفترة بصفة عامة إلى اختراع تقنية الري بالأفلاج، كما أن أسلوب الزراعة باستخدام المعزقة قد يستنتج من اكتشاف نصل معزقة برونزية في موقع الرميلة.

ولعله من المثير ملاحظة أن العصر الحديدي الثاني شهد أيضا ظهور معاقل حصينة، مثل الهيلي ١٤ في العين، وحصن مضب في الفجيرة، وجبل بحايص شمال المدام، والرفاق في وادي القور. ويمكن القول بآن الغرض من هذه الحصون والقلاع حماية المستوطنات الزراعية المرتبطة بها، خاصة أفلاجها الثمينة، كما أن تركيز القوة في مثل هذه المراكز كان ظاهرة اجتماعية وسياسية هامة. وقد يستدل على السيطرة السياسية والاقتصادية من قبل أجهزة مركزية في هذا الوقت من خلال ظهور تقليد صناعة أختام عثر عليها في عدد من المواقع، بما في ذلك الرميلة.

شكّل ترويض الجمل في نهاية العصر الألفي الثاني قبل الميلاد في تل أبرق فاتحة لإمكانيات جديدة في مجال النقل البري.

مويلحة، تل أبرق وبنت سعود

كانت هناك مؤشرات على وجود اتصالات بالمناطق الخارجية من خلال العثور على قلادة حجرية ناعمة في تل ابرق، تُظهر شكلا يُذكّر بصورة الروح الشريرة التي كان يعتقد بأنها تسبب انتشار الأمراض في العصر الآشوري الحديث والعصر البابلي الحديث، كما أن هناك اعتقادا سائدا بآن هذه

مثّلت مستوطنات مليحة بإمارة الشارقة نموذجاً لاستقرار الإنسان بصورة متواصلة نظراً لما تتوفر فيها من مقومات الحياة من ماء ووسائل ري منذ أواخر عصر ما قبل التاريخ.

القلادات تحمى صاحبها من الأمراض. وتتضح المؤشرات أيضا على وجود اتصال فعلى بالعالم الخارجي من خلال قلادة أخرى على هيئة قارب في تل أبرق، وهو الأثر الوحيد الذي يصور العصر الحديدي في شبه جزيرة الإمارات/عمان، ويبدو القارب مربع الشكل في المؤخرة مع زوايا حادة وشراع مثلث الشكل، ومن الواضح انه يشبه القارب الشراعي العربي المثلث الشكل الذي لم تشهده المنطقة إلا في فترة الساسانيين، كما لم يكن معروفا في منطقة البحر الأبيض المتوسط حتى العام ٩٠٠ ميلادية. ويستنتج من ذلك أن قلادة تل أبرق كانت أقدم صورة للقارب الشراعي يتم اكتشافها حتى الآن.

ولم تكن المرحلة الفرعية الثالثة والأخيرة من العصر الحديدي معروفة بصورة جيدة، على الرغم من وجود ٦ مستوطنات، بما في ذلك تل ابرق، وشَمل، والرميلة، والهيلي ١٧، والهيلي ٢، وند الزبة، والثقيبة، إضافة إلى مدافن في وادي القور وواحة دبا.

فترة مليحة (أواخر ما قبل الإسلام)
٣٠٠ سنة قبل الميلاد

لا بدّ أن اضمحلال الإمبراطورية الفارسية كانت له آثار وتداعيات على منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، حيث انه مع هزيمة داريوس الثالث وموته، لم تعد منطقة ماجان ولاية فارسية تخضع لحكم مرزبان. وعلى صعيد آخر لم تشمل فتوحات الاسكندر الأكبر الجانب العربي من الخليج. وعلى الرغم من انه ورث الجزء الأكبر من الإمبراطورية الاخمينية، فان الخطط الأخيرة للقائد المقدوني والتي تضمنت غزو شبه الجزيرة العربية، لم تتقدم مطلقا فيما وراء مرحلة الاستطلاع الأولية. وهكذا، وبحلول القرن الثالث قبل الميلاد كان جنوب شرق شبه الجزيرة العربية متحرراً من النفوذ السياسي الأجنبي. وانه يتعين النظر للتطورات التي شهدتها القرون اللاحقة من خلال هذا الواقع، ذلك أن أيًا من خلفاء الاسكندر الأكبر لم يتمكن من فرض سيطرة الإغريق في هذه المنطقة. وباستثناء مليحة، التي كانت مستوطنة تمتد لعدة كيلومترات على سهل من الحصباء جنوب الذيد، لا توجد أي مستوطنات أخرى يمكن أن تنسب إلى هذه الفترة. وتمثل مستوطنات مليحة استقرار الإنسان بصورة متواصلة في منطقة تتوفر فيها مقومات الحياة من ماء ووسائل ري جيدة منذ أواخر عصر ما قبل التاريخ. ويلاحظ أن المستوطنات، التي قامت في وقت مبكر من فترة ما بعد العصر الحديدي، شيدت من سعف النخيل والمواد المحلية الأخرى لتناسب الطقس الحار لشبه جزيرة الإمارات/عمان. بيد أن الموتى كانوا يدفنون في مقابر أكثر

تماسكا وقوة باستخدام الآجر الطينى، تعلوها أبراج صلبة من الآجر، وتتوجها شرفات حجرية مزخرفة، وتذكرنا هذه البنيات، التي لم تكن لها سابقة في المنطقة، بالقلاع التي استخدمت كمدافن في تدمر، وقرية الفاو، وفي الفترات الأولى في البتراء. كما نجد أن هذه المستوطنات والمدافن، على حد سواء، قد حفلت بكميات من الأواني الخزفية، كان من الواضح أن بعضها تم تصنيعها محليا بعد إدخال بعض التعديلات على النقوش التي كانت سائدة إبان العصر الحديدي، والبعض الآخر تم استيرادها من خارج المنطقة وتتضمن الخزف اللامع والتي يبدو أنها من إنتاج جنوب غرب إيران أو جنوب العراق، بالإضافة إلى الأواني الحمراء والسوداء التي يعرف من شكلها أنها آتية من شمال شرق شبه الجزيرة العربية، أو جزر البحرين أو فيلكا المجاورة، هذا إلى جانب أوان خزفية إغريقية مستوردة من بحر إيجه أو البحر الأبيض المتوسط. وتذكرنًا بعض الأواني، كالأباريق المصنعة من البرونز المحفور وأخرى مرمرية على شكل خلايا النحل عثر عليها في مليحة ٢ ببعض النماذج من جنوب شبه الجزيرة العربية، وهذه حقيقة هامة فيما يتعلق باستعادة العديد من المواد (أعمدة حجرية، وطاسات برونزية) تعود إلى منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية شأنها شأن عدد من القطع النقدية المعدنية التي تم العثور عليها في سطح الموقع.

إن أحد أكثر الابتكارات التي تميز أواخر عصر ما قبل الإسلام هو ظهور الحديد لأول مرة في السجلات الأثرية لمنطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، فإلى جانب المواد المفيدة كالمسامير، استخدمت أيضاً السيوف الطويلة ورؤوس السهام. وسواء تم تصنيعها محليا أم لا، فهذا أمر آخر، لكن بالإضافة إلى وجود مناطق تزخر بالحديد بالقرب من جبل الفاية، وجبل املح، وجبل البحيص إلى الجنوب من مليحة، فان سطح الموقع نفسه تتناثر فيه بقايا قطع حديدية، مما يوحي بقيام بعض صناعات صهر وسبك الحديد في المنطقة. أما لماذا لم يستخدم الحديد مبكرا، فانه سيظل لغزا محيرا. وربما كانت وفرة موارد النحاس في جبال الحجر والتقليد القديم في صناعته، عاملاً هاماً ساهم في عدم الاهتمام المبكر بصناعة الحديد.

فترة الدور (أواخر ما قبل الإسلام)
(صفر ق.م–٢٠٠ميلادية)

بحلول القرن الأول قبل الميلاد، توفرت مادة مكتوبة لا بأس بها، وإن كان من الصعوبة الاستفادة منها. وفي العام ٧٧ ميلادية اكمل الكاتب الروماني بلين الأصغر (٢٣/٢٤–٧٩ ميلادية) كتابه (التاريخ الطبيعي) ومن خلال وصفه لشعوب ومناطق جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى ما

أظهرت الدراسات التي أجريت على أسنان الموتى المدفونين في موقع (شمل) أن نسبة تسوّس الأسنان لم تكن عالية في أوساط سكان المنطقة الذين كانوا يعتمدون في غذائهم على الأسماك و المحار وربما بعض التمور.

شهدت به خريطة بطليموس لشبه الجزيرة العربية في القرن الثاني الميلادي، يتضح لنا أن منطقة الإمارات كانت تعج بالمستوطنات والقبائل والتضاريس الطبيعية التي سجل أسماءها. إن تحديد هذه الأماكن ومطابقتها مع المواقع الأثرية أمر صعب، إلا انه قيل بأن مدينة عمانه، التي أشار عدد من الكتاب السابقين إلى أنها كانت أحد أشهر الموانئ في كارمانيا، يمكن اعتبارها تلك المستوطنة الضخمة التي تبلغ مساحتها ٤ كلم مربع تقريبا في منطقة الدور في أم القيوين. كما أن الموقع نفسه ورد ذكره، في الوقت نفسه في PERIPLUS OF THE ERYTHAEAN SEA، وهو نص هام يؤرخ للحركة التجارية البحرية بين الإسكندرية في مصر وبريجازا في الهند. ومهما يكن من أمر، فإن المخلفات الأثرية في منطقة الدور، لا تدع مجالا للشك، في أن هذا الموقع كان أكثر المستوطنات الساحلية أهمية في الخليج الأدنى خلال القرون الميلادية الأولى.

وشيدت معظم المباني في هذا الموقع من صخور ساحلية جيرية متحجرة تتكون في مناطق المد والجزر الساحلية الضحلة، ويمكن تكسيرها بسهولة واستخدامها كمواد بناء. وقد كشفت الحفريات وجود منازل ضخمة مكونة من عدة غرف وأبراج دائرية الشكل، بالإضافة إلى منازل مكونة من غرفة واحدة. واكتسب استخدام المرمر كغطاء للنوافذ أهميته من انه يقدم أول دليل أثري على استخدام هذه المادة لهذا الغرض في شبه الجزيرة العربية. أما المدافن فكانت، إما في شكل قبور بسيطة لدفن الأفراد، أو ضخمة شبه تحت أرضية، وتتضمن مقابر جماعية تتكون من غرفة تحت أرضية، يتم الوصول إليها عبر درج، وتعلوها قبة أشبه بالبرميل. وتغلب على الخزف الذي عثر عليه هنا الأواني الفخارية اللامعة، ويرجح انه من صنع بارثيا، وقد استجلب من جنوب بلاد ما بين الرافدين أو جنوب شرق إيران. وكانت عمانه أهم ميناء في الخليج الأدنى، وتمت توأمتها مع ميناء أبولوجوس الواقع في مدخل الخليج الذي ربما كان يقع في مكان ما بالقرب من مدينة البصرة الحديثة، كما انه كان أحد المنافذ البحرية الرئيسية لمملكة ميسان CHARACENE. وبينما كانت الحركة التجارية من البحر الأحمر وعبر المحيط الهندي توفر أحد الطرق الرئيسية لحصول الرومان على منتجات الهند والشرق، وفرت حركة القوافل البرية بين تدمر (PALMYRA) في سوريا ومدن SELEUCIA، VOLOGESIAS و SPASINOU CHARAX في العراق ومنها بالبحر عبر ممر ميسان CHARACENE إلى عمانه ثم إلى الهند، طريقا بديلا للتجارة. ويرجح أن الطريق الأخير ربما كان السبيل الذي نفذ من خلاله الزجاج الروماني إلى منطقة الدور حوالي القرن الأول الميلادي. لاشك أن السلطة

السياسية، التي يفترض المرء أنها كانت موجودة في مركز تجاري ضخم كالدور، قد تركزت في القلعة التي اكتشفتها بعثة تنقيب عراقية في العام ١٩٧٣. وقد شيدت القلعة، التي يبلغ طولها ٢٠ مترا في أحد جوانبها وتحيط بها أربعة أبراج، قطر كل منها ٤ أمتار، من الصخور الساحلية وتشبه تحصينات بارثيا PARTHIAN المعاصرة في بلاد وادي الرافدين. وإلى الجنوب من هذه القلعة يوجد معبد هام اكتشفته بعثة آثار بلجيكية، وهو عبارة عن غرفة واحدة بسيطة مربعة الشكل يبلغ طولها ٨ أمتار في أحد جوانبها مبنية من الصخور الساحلية مطلية بالجبس وأشبه بالمباني المشيدة من الحجارة المربعة، وعثر في داخلها على محرقة بخور منقوش عليها اسم (شمس) باللغة الآرامية، وتدل على أن هذا المعبد كان مكانا مقدسا مكرسا لعبادة آلهة الشمس. وبينما كانت الدور المستوطنة الرئيسية خلال هذه الفترة على ساحل الخليج، كانت مليحه، دون شكّ، المركز الرائد في الداخل. ولعل من أهم الاكتشافات خلال الحفريات الأخيرة في هذا الموقع، قلعة مربعة الشكل مع أبراج مربعة في أركانها، وحائط خارجي رئيسي يبلغ طوله ٥٥متر ا. إضافة إلى ذلك كان يوجد في القلعة قالب حجري لصناعة العملة المعدنية، وبما أن سلطة سك النقود كان حقاً مقصوراً على السلطة الحاكمة في العالم القديم، فمن المرجح أن قلعة مليحه كانت تمثل مركز السلطة السياسية في تلك المنطقة. وقد تم اكتشاف المئات من هذه القطع النقدية في كل من مليحه والدور، وكانت على غرار عملة الاسكندر الأكبر، حيث كانت تحمل في واجهتها الأمامية صورة رأس هرقل مرتدياً جلد أسد، وتحمل الواجهة الخلفية مجسماً جالساً على هيئة الإله اليوناني زيوس. وبينما تحمل العملة الإغريقية الأصلية في خلفيتها اسم الاسكندر الأكبر مكتوبا بالإغريقية، فإن عملة مليحه والدور تحمل نقشاً باسم ابيعل، الذي يمكننا الاستنتاج بآنه كان حاكماً هاماً في هذه المنطقة خلال أواخر عصر ما قبل الإسلام.

كان أهل الإمارات وعُمان من أوائل من اعتنقوا الدين الإسلامي طوعاً بعد أهل اليمن عند بزوغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية في العام ٦٢٢ للميلاد.

نهاية عصر ما قبل الإسلام (٦٣٥-٢٤٠م)

وعلى الرغم من الجدل الطويل حول قوة النفوذ السياسي للبارثيين PARTHIANS في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، إلا أنه لا شك أن خلفاءهم الساسانيين سرعان ما فرضوا إرادتهم على سكان المنطقة بعد استيلائهم على السلطة. ومع ذلك، ومن الناحية الأثرية، لم يتوفر الكثير من الشواهد على وجود الساسانيين في الإمارات، وكل ما في الأمر انه تم العثور على بعض

سيطر القواسم، ما بين القرنين السابع والسابع عشر الميلاديين على ضفتي الخليج العربي والجزر الواقعة فيه، حيث كان جزء مهم يستوطن في جزيرتي قشم وصرّى، والجزء الآخر في جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى.

القطع المعدنية في ساحل الخليج تضمنت زوجاً من العملة البرونزية غير محفوظتين بصورة جيدة من عصر اردشير وشابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩) في منطقة غاله، وهي جزيرة في بحيرة أم القيوين. كما عثر على قطعة نقدية فضية للملك الأخير في تل أبرق، بالإضافة إلى ثماني عشرة قطعة نقدية في الفجيرة، بعضها صدرت في عصري الإمبراطورين الساسانيين الأخيرين هرمز الرابع (٧٥٠-٩٥٠) وخسرو الثاني (٥٩٠-٦٢٨).

وفي المناطق الداخلية نجد عدة مدافن بداخلها أسلحة من الحديد (رماح وسيوف.. الخ) بالقرب من جبل املح AL EMALAH تعود لفترة ما قبل الإسلام، وعثر في أحد القبور على سيف مصنوع من الحديد تم تحديده بالفترة (٤٥٥-٥٨٣) ميلادية باستخدام الأشعة الكربونية، هذا بالإضافة إلى هيكل شخص ومعه رمح حاد الطرف يعود تاريخه إلى الفترة ٥١٣-٦٢٤م. وفي مقبرة ثالثة بجبل املح اكتشف عتاد حربي وهيكل جمل. بيد أن من الخطأ الاعتقاد، من خلال دفن الجمل، بآن الوثنية العربية أو الزرادشتية الناجمة عن النفوذ الساساني هي التي كانت سائدة، حيث أن المسيحية النسطورية كانت أيضاً عنصراً مكوناً هاماً في الاعتقاد الروحي في هذه المنطقة. في العام ٤٢٤م حضر يوهانون أسقف مزون مجمعا كنيسياً في مرقبطه MARKABTA في العراق، وهو المكان الذي أعلنت فيه الكنيسة النسطورية استقلالها عن أنطاكيا ANTHIOCH. وكان هذا أول دليل مادي على نفوذ المسيحية النسطورية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، على الرغم من أن السيرة الذاتية للراهب يوحنا الذي تولى رئاسة الكنيسة النسطورية خلال الفترة ٣٤٣-٣٤٦، تشير إلى انه بنى ديراً على حدود الجزيرة السوداء والتي اعتقد بعض الدارسين للمسيحية النسطورية أنها إحدى الجزر الواقعة بين عمان وقطر. وفي هذا السياق يمكن الأخذ في الاعتبار جزر ساحل أبوظبي التي يمكن أن تكون مقراً لدير يوحنا. وتعتبر الاكتشافات الأخيرة في جزيرة صير بني ياس، التي كشفت عن وجود كنيسة أو دير مكتمل ومطلي بالجبس المنحوت بما في ذلك الصليب، على قدر عال من الأهمية في هذا المجال.

كانت مزون ضمن قائمة أرمينية هامة من مقاطعات الإمبراطورية الساسانية، الأمر الذي يؤكد أن هذه المنطقة كانت تحت سيطرة الساسانيين عند بزوغ فجر الإسلام.

وقد ورد في بعض المصادر الأدبية اسم مدينتي توام ودبا، وعلى الرغم من أن توام تم تحديدها بمنطقة العين الحالية وواحة البريمي، إلا أنه لم يتم

تحديد موقعها الأثري على وجه الدقة، نسبة لعدم اكتشاف أية آثار في هذه المنطقة من مخلفات فترة ما قبل الإسلام المعاصرة لفترة سيطرة الساسانيين. أما دبا فإنها لا تزال اسماً لواحة سكنية وميناء كبير على الساحل الشرقي لدولة الإمارات، وما تزال آثارها التي تعود إلى أواخر عصر ما قبل الإسلام تنتظر من يكتشفها، إلا أن المادة المدوّنة عنها متوفرة بكثرة. في كتابه (المحبر) وصف ابن حبيب مدينة دبا بأنها (إحدى ميناءين عربيين يرتادهما التجار من بلاد السند والهند والصين وأيضا أناس من الشرق والغرب). وكانت دبا تدفع ضريبة إلى الجلنده بن المستكبر بمناسبة المعرض الذي يعقد سنويا لخمس ليال اعتبارا من اليوم الأول من شهر رجب. إن الأهمية التجارية التي كانت تحظى بها مدينة دبا في ذلك الوقت، تفسر لنا اهتمام الرسول ﷺ بهذه المدينة، ومخاطبة جيفر وهو من سلالة الجلندة برسالة حملها أبوزيد وعمرو بن العاص في سنة ٦٣٠، يدعو فيها أهل دبا إلى اعتناق الإسلام. وبعد سنوات عدة أصبحت دبا مركزا للقيط بن مالك زعيم حركة الردة التي سحقتها جيوش الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

وقد استمر نفوذ المسيحية في مزون لبضعة عقود بعد ظهور الإسلام، حيث حضر الأسقف ستيفن مجمعاً كنسياً في بلاد ما بين الرافدين في العام ٦٧٦م. وكان اعتناق المسيحيين للإسلام واسعاً، وهو ما أثبتته مجموعة رسائل الأسقف المسيحي النسطوري إيشويهب الثالث إلى الأسقف سيمون من أسقفية أردشير في إيران يتذمر فيها من اعتناق أهل مزون للإسلام. وأعقب تلك الفترة غياب الأساقفة عن حضور أي مجمع كنسي للكنيسة النسطورية، ويقوم هذا كدليل على انحسار المسيحية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بعد مطلع القرن السابع الميلادي.

جولة في آخر الاكتشافات الأثرية

وفي العام ٦٢٢ للميلاد بزغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية، وكان أهل الإمارات وعمان من أوائل الأقوام التي اعتنقت الدين الإسلامي طوعاً بعد أهل اليمن. وبالرغم من غياب المواقع الأثرية من عصر صدر الإسلام، يحدثنا المؤرخون عن مدينة دبا الكائنة شمال مدينة الفجيرة، حيث وقعت فيها أكبر المعارك بعد وفاة محمد رسول الله ﷺ. كما ويشير الدليل المادي إلى أن منطقة جميرة قرب مدينة دبي، كان لها شأن كبير في عصر صدر الإسلام. فالموقع الأثري في هذه المنطقة من دبي يمثل بقايا مدينة إسلامية من العصر الأموي كانت تتحكم بطرق التجارة آنذاك. ومن مرافق

هذه المدينة التي كشف عنها والمطلة على ساحل الخليج العربي، بيت للحاكم وسوق تجارية صغيرة ومرافق سكنية.

ومن المدن الإسلامية الكبيرة المعروفة في الدولة كذلك، مدينة جلفار الواقعة على شاطئ الخليج شمال مدينة رأس الخيمة الحالية، وكانت هذه المدينة ذائعة الصيت منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واشتهرت بعلاقاتها التجارية مع الصين ومناطق أخرى من شرق آسيا، واستمرت كذلك حتى أفل دورها في القرن السابع عشر الميلادي. لقد كشفت الحفائر المستمرة في مدينة جلفار عن بيوت سكنية وما لا يقل عن أربعة مساجد تتعاقب فوق بعضها البعض. ومن العصور الإسلامية المتأخرة التي تعود إلى القرون القليلة الماضية، هناك عدد كبير من المواقع الأثرية التي كانت مأهولة بالسكان، فاللقى الأثرية المنتشرة على سطوح هذه المواقع الأثرية التي كانت مأهولة بالسكان، تدل على انه كانت هناك أقوام تتجول ما بين السواحل والواحات والصحاري.

وفيما بين القرنين السابع والسابع عشر الميلاديين، انطلق بحارة الإمارات، مستفيدين من الخبرات الملاحية التي توارثوها عن أجدادهم، فجابوا المحيط الهندي ووصلوا بتجارتهم إلى ممباسا في كينيا، وإلى سريلانكا وفيتنام والصين، وكانوا يبحرون بسفن الدور الخشبية الضخمة التي تماثل تلك التي مازالت تصنع حتى اليوم في البلاد. إن البراهين على عراقة التقاليد التجارية لهذا الشعب تبرز بوضوح في موقع جلفار في رأس الخيمة، حيث تختلط بقايا الخزفيات الصينية البديعة مع قطع الفخاريات الواردة من مناطق أقرب، كما أن سجلات البحارة البرتغاليين، الذين كانوا أول من وصل الخليج في القرن السادس عشر، تؤكد ذلك. فأحد أولئك البحارة، وهو دوارتي باربا روس، كتب في العام ١٥١٧ (إن سكان جلفار أثرياء وملاحون عظام وتجار جملة، والخليج مصدر وفير جدا للأسماك واللآلئ الصغيرة والكبيرة).

لقد كان أحمد بن ماجد واحداً من أعظم ملاحي الإمارات، وقد استفاد البرتغاليون من معرفته بالطرق التجارية وأحوال الرياح في المحيط الهندي، فساروا على نهجه. إلا أن قدوم البرتغاليين كان مزدوج الأثر، فمن ناحية، فتحوا المجال أمام اتصال المنطقة بأوروبا، لكنهم فعلوا ذلك بعد معارك عديدة، وعبر الكثير من إراقة الدماء والدمار الذي لحق بمدينتي جلفار وخورفكان على الساحل الشرقي. وفي أوائل القرن الثامن عشر كانت جلفار مهجورة كليا، وأخذت التقاليد التجارية العريقة بالانقراض.

في أعقاب ذلك، وبينما كانت القوى الأوروبية مثل البرتغال وهولندا

وبريطانيا تتنافس على السيطرة على المنطقة، أخذت قوة جديدة في الإمارات تبرز تدريجيا. وكانت تلك دولة القواسم الذين مازال أحفادهم يحكمون إمارتي الشارقة ورأس الخيمة حتى اليوم. وقد استفاد القواسم من الخبرات البحرية العريقة المتوارثة، فبنوا أسطولا يضم أكثر من ٦٠ سفينة ضخمة، وكان لديهم حوالي ٢٠ ألف بحار، لكن قوتهم أخذت تشكل تحديا خطيرا للبريطانيين الذين برزوا في ذلك الوقت كقوة مسيطرة في منطقة المحيط الهندي، ولذلك كانت المواجهة بين الجانبين حتمية، وخلال العقدين الأولين من القرن التاسع عشر جرت سلسلة من المعارك البحرية بينهما أسفرت عن تدمير أسطول القواسم بصورة شبه كاملة وتعزيز النفوذ البريطاني في الخليج.

وقد زعم البريطانيون أن القواسم كان لهم ضلع في عمليات القرصنة، وأدى ذلك الزعم إلى تسمية المنطقة (ساحل القراصنة). إلا أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة دحض تلك المقولة بصورة قاطعة في كتابه (أسطورة القرصنة العربية في الخليج) وأظهر بوضوح أن السبب الكامن وراء التدخل العسكري البريطاني هو الرغبة في السيطرة على الطرق التجارية بين الخليج والهند، وكان القواسم يسيطرون على ضفتي الخليج العربي والجزر الواقعة فيه، حيث كان جزء من القواسم في جزيرتي قشم وصرّي، والجزء الآخر في جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى.

تمكن البريطانيون في مطلع العام ١٨٢٠ من تثبيت مركزهم في الخليج، وأبرموا سلسلة اتفاقيات مع كل من شيوخ الإمارات آنذاك، ثم عززوا تلك الاتفاقيات بمعاهدة هدنة بحرية أكسبت المنطقة اسماً آخر هو (الساحل المتصالح).

وكان السلام في البحر يعني انه يمكن استغلال مصايد اللؤلؤ التي يبلغ عمرها خمسة آلاف عام، والموجودة في مياه الخليج الأدنى، بدون مشاكل. وأدى ذلك إلى استئناف تصدير اللآلئ البديعة من الإمارات إلى الهند، بل وحتى إلى أوروبا، حيث أخذ سوقها بالازدهار. وهكذا انتعشت صناعة صيد اللؤلؤ خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فوفرت مجالاً للعمل ومصدراً للدخل. إلا أن الحرب العالمية الأولى وجهت لتلك الصناعة التي جلبت الثروة لسكان الإمارات مدة تزيد على ٤٠٠٠ عام، ضربة قاسية. وجاءت نهايتها بعد ذلك كنتيجة حتمية لأمرين هما الكساد الاقتصادي العالمي في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن، واختراع

وقّع البريطانيون في العام ١٨٢٠ إتفاقية هدنة مع شيوخ الإمارات أُطلق بعدها على المنطقة إسم (الساحل المتصالح).

اليابان طريقة لإنتاج اللؤلؤ صناعيا. وفي الوقت الحاضر مازالت تقوم بعض عمليات صيد اللؤلؤ كمهنة تراثية أكثر منها للتجارة.

وتطورت الإمارات بعد ذلك ببطء خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، على الرغم من انتهاء مرحلة الحروب البحرية المدمرة، وذلك نتيجة لانعدام الموارد الاقتصادية الحقيقية. وكان من أعظم شخصياتها في تلك الفترة الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان، الذي حكم أبوظبي أكثر من ٥٠ عاما، بين ١٨٥٥ و١٩٠٩ وكان يلقب بـ(زايد الكبير). وكانت تلك الفترة أيضا حافلة بالتغييرات السياسية، فمنذ أوائل الخمسينات كان حكام الإمارات السبع يلتقون في إطار (مجلس الدول المتصالحة).

وفي السادس من أغسطس ١٩٦٦ تسلّم المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي.

ويمثل هذا التاريخ علامة بارزة في حياة هذه المنطقة، إذ انه يشكل البداية الحقيقية للنهضة الحديثة التي تشهدها الآن، والتي تُوجت بقيام دولة الإمارات في الثاني من ديسمبر ١٩٧١ وبالسياسة الحكيمة التي انتهجها الشيخ زايد الذي انطلق من إيمان راسخ بتسخير الثروة لخير البلاد وأبنائها وسعادتهم وتوفير الحياة الكريمة لهم. وفي العام ١٩٦٨، عندما أعلن البريطانيون أنهم ينوون مغادرة الخليج بحلول العام ١٩٧١، شرع حكام الإمارات، تحت قيادة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والمغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، في إقامة دولة الاتحاد، وتأسست دولة الإمارات العربية المتحدة في العام ١٩٧١، وشهدت منذ ذلك الحين تطبيق برنامج تنمية ضخم تُغذّيه الواردات النفطية ويستهدي ببعد نظر قادتها.

واليوم، بعد مرور ٣٦ عاماً، أصبحت دولة الإمارات تمتاز بالمرافق المتطورة العصرية، دون أن تتخلى عن تراثها وتاريخها العريقين، مما جعل منها قبلة للزوار القادمين من كل أرجاء المعمورة.

إن هذا الاستعراض السريع للماضي العريق لدولة الإمارات العربية المتحدة، لدليل على أصالة هذا الماضي الذي كان قد بدأ قبل خمسة آلاف عام على الأقل. فتواصله، عبر جميع هذه الحقب الزمنية مروراً بالعصور المبكرة منها والوسيطة والحديثة، لدليل آخر على عراقة هذا الماضي، وما وصلت إليه هذه الدولة الفتية الحديثة، من درجة في الرقي والتطور، دون أن تفقد أصالة ماضيها وتضيّع تراثها، ولدليل أيضاً على حكمة مؤسسها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي كان يقول دوماً.. (من ليس له ماضٍ لا حاضر له ولا مستقبل).

إرجع الى صفحة الفهرست